Adab Al-Rafidain

https://radab.uomosul.edu.iq

Describing bad men in the Holy Qur'an and their combinations A semantic study in light of the science of occasion

Bushra Jasim Mohammed Ali
Ph.D. Student / Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Zahra Kalid
Department of Arabic Language / College of Arts / University of Mosul

Article Information

Article History:
Received May 04, 2024
Reviewer May 26 .2024
Accepted June 09, 2024
Available Online December 1, 2024

Keywords:
Descriptions
Bad men
Knowledge of the occasion

Correspondence:
bushrajasim26@gmail.com

Abstract

Among the connotations, and the Qur'an presents them with various meanings, methods, structures, and morphological forms that indicate confirmation and occurrence in language and purpose**.**

There are many bad descriptions, expanding in their connotations between reminder, definition, restriction, multiplicity, release, and varying tenses between accusative and declension, some of which appear as commands, prohibitions, oaths, and conditions in linguistic systems that are composed of patterns and discourse**.**

Researching its objectives is to achieve the contents of the surahs in establishing the desired divine approach to the characteristics of manhood, in which they will identify the bad qualities that are far from the Sunnah, and in a way that suits

DOI: 10.33899/radab.2024.149416.2136 ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

أوصاف الرجال السيئة في القرآن دراسة في ضوء علم المناسبة

بشرى جاسم محمد علي* زهراء خالد **

المستخلص

من دلالات القرآن الكريم، سمات الرجال السيئة وأوصافهم وأوصاف الرجال السيئة التي تخلقوا بها، وعرضها القرآن بمعانٍ وأساليب شتّى وتراكيب وصِيَغٍ صرفية دالة على الثبوت والحدوث لغةً ومقصداً .

وتتعدد الأوصافُ السيئة في لغة الخطاب القرآني لتتسع بدلالاتها ما بين تذكير وتعريف وقيد وتعدد وإطلاق وأزمنة متفاوتة ما بين نصب وخفض ، منها ما يردُ أمراً ونهياً وقسماً وشرطاً في نَظْم لغـوي مُتألف النسق والخطاب .

والبحث في أهدافه تحقيق لمضامين السُور في وضع المنهج الرباني المبتغى من معالم الرجولة ليستبينوا فيها الصفات السيئة والبعيدة عن السنن وبما يُناسب الغرض الذي سيقت فيه.

والبحث في نهجه التحليلي رَصَدَ القرآن المكي والمدني في مقاصد آيـــه وتناسب الوصف عقيدةً وسلوكاً بما يحمله من خِصال بما يبعد عن الإيمان الحق ورجاله المؤمنين ، وحقق الإعجاز القرآني بعناصر جملة البيان الأمثل والتركيب الأرقى والأسلوب الأجمل لتعالق لفظه ومعناه .

*** طالبة دكتوراه / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل**
**** دكتور / قسم اللغة العربية / كلية الاداب / جامعة الموصل**

وقد قسم البحث الى مقدمة في بيان علم المناسبة واهميته في القرآن الكريم وخصوصية تفسيره للفظ الوصف ثم ارتأينا تقسيم الاوصاف معجمياً وحسب ترتيبها ضمن الآية والسورة مصحفياً واتبعناها نهجًا تحليليًا تفسيريًا.
الكلمات المفتاحيَّة: الأَوصاف، الرجال السيئة، علم المناسبة.

التمهيد

الوصف: هو وصفك الشيء بما فيه[1] وصفاً وصفة[2] وهو بعض احوال الذات[3]، فشمل الوصف لغة الحسن والذم والقبح من باب التكلف؛ لأن من استوصف الشيء صار متواصفا بهذه الصفة فيخرج من معنى الحسن الى غيره تكلفاً[4] واصطلاحاً: يقال للصفة التي تساق للتفرقة بين المشتركين في الاسم انها للتخصيص في النكرات وللتوضيح في المعارف[5] وقد تكون الصفة باسم الفاعل من اشتقاق المصدر او الفعل اللازم، للدلالة على ثبوت الفعل[6] وتوالت مفاهيم الوصف عند النحاة والاصوليين وعلماء اللغة والبلاغة ليتسع مفهومه في الدلالة المعنوية للوصف وتخصيص معانيه بأوصاف دلالية تخرج الى المجاز وتخص بتراكيبها حسب السياقات والمقام.

لفظ الرجل اصطلاحاً وبياناً قرآنياً

الرجل: هو ذكر من بني ادم جاوز حد الصغير بالبلوغ[7] وقد ذكرت لفظة رجل في القران الكريم في سبعة وخمسين موضعاً وبصيغ مختلفة وأريد بها الصفة تارة والنوع تارةً أخرى، والصفة والنوع تارةً ثالثة[8]

وقد تنوعت مقامات سياق ورودها في القران الكريم حسب المدلول في الآية والسورة منها: القوامة والوفاء بالعهد وصواب الامور وشدائدها وغير ذلك كثير ووردت لفظة الرجل بصيغها المتعددة في القران المكي والمدني بأوصاف عدة تنوعا لمقاصدها في السورة ولبيان تناسب الوصف في سياقه بما يخص الرجل، لابد من الوقوف على علم المناسبة[9] المعني بترتيب الآيات والسور وبيان الصلة بين الوصف وتناسبه في الآية والسورة وضمن المنهج التحليلي لإثبات وحدة القرآن ونظمه وإعجازه[10]

معجم الأَلفاظ والتراكيب وتحليلها دلاليًا

1 ــ (أ/ث/م) **أَثِيمٍ:**

{يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ}[11] .

أَثَـمَ : أصلُ يدلُ على البط ء والتأخر ، والإثم مشتق من ذلك؛ لأنَّ الإثم بطيءٌ عن الخير متأخر عنه [12] . و " الإثمُ الذَّنبُ ، وقيل : هو أَنْ يَعْمَلَ مالا يَحلّ له"[13] . ويُقال : أثـم فُلانٌ يأثَمُ إثْماً ومأثَماً ، أي وقع في الإثم فهو آثـمٌ وأثيـمٌ ، ورجل أَثامٌ من قومٍ آثمين ، وأثيمٌ من قومٍ أَثماء ، وأثومٌ من قومٍ أثـمٌ [14] .

أدرج السياق وصفي **{كَفَّارٍ}** و **{أَثِيمٍ }** لمناسبتهما في تعظيم أمر إحلال الصدقات وتحريم الربا ، فلمّا حرَّم الله ــ تعالى ــ الرِّبـا ورغَّبَ في الصدقات ، فبعض الناس كانت ترى الرِّبـا زيادةً في الأموال ، والصدقـة تنقصها ، والعكس صحيح " فالمحق النقصان التدريجي ، والرِّبـا هو النمو التدريجي ، فالمُرابي آثم في فعله ، ودافع للناس إلى الانتقام منه متى تسنى لهم الأمر، فيشيع الخوف والفوضى والفزع بينهم، واستعمل القرآن الكريم صيغة الفعل المُضارع **{ يَمْحَقُ }** لاستمرارية الفناء التدريجي الذي يحيق بالمُرابي ،

---

(1) كتاب العين للفراهيدي ١٠٣٦/٢٠ وصف
(2) لسان العرب لابن منظور ٣٥٦/٩ وصف
(3) المفصل في علم العربية للزمخشري ١١٧
(4) لسان العرب ٣٥٦/٩
(5) التعريفات للجرجاني ١٧٥/١
(6) معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب مجدي وهبة واخرون ٢٢٥
(7) التعريفات ١٠٩
(8) الرجولة في القران الكريم (دراسة موضوعية عصام العبد زهد في الجامعة الاسلامية مج ١٨١:٤،١٨
(9) علم المناسبة: علم تعرف منه علل ترتيب اجزاء القران وجعل اجزاء الكلام بعضها اخذ بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم الملائم للأجزاء
(10) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسورة للبقاعي
(11) الآية: 276 من سورة البقرة.
(12) يُنظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمـد القزويني، أبـو الحسـين، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، عام النشر 1399 هـ ـــ 1979 م: 1 / 60 (أثـم) .
(13) المُحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحســـن علـي بن اسماعيـــل بن ســـيده المـــرسي (ت 458 هـ) ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ـــ بيروت: 10 / 185 (أثم) .
(14) يُنظر : لسان العرب ، ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو الفضل ، جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت 711 هـ) ، دار صادر ـــ بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1414 هـ: 12 / 6 (أثم) .

ويحيق بالمجتمع المرابي ، وبالمقابل النمو التدريجي في أموال من ينفقون رؤوس أموالهم في قضاء حاجات المحتاجين من الناس؛ لذلك جاء الفعل { **وَيُرْبِي** } بصيغة المُضارع لاستمرار الزيادة في أموال المُنفقين [1] ، وقوله تعالى : { **وَاللَّهُ لَايُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** } جملة اعتراضية بين أحكام الرّبا، وهذاالاعتراض لايخلو من مناسبة بينه وبين سياق الكلام، فالإخبار بأنَّ الله لايحب جميع الكافرين مُؤذنٌ بأنَّ الرّبا من شِعَار أهل الكفر،وأنَّهم استباحوه فقالوا: **{إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}**[2]، وفي هذا تعريض بأنَّ المُرابي متسم بخلال أهل الشرك[3] ، فوُصِفَ المُرابون بـ { **كَفَّارٍ** } الوصف الذي جاء على صيغة مبالغة على وزن (فعّال) ، وذلك لإصرارهم على الكفر واستمرارهم في أكل الرّبا لاعتقادهم الباطل أنَّ الرّبا حلال [4] وأردفهم بوصفٍ آخر هو (أثيم) وجاء بصيغة بصيغة صفة مشبهة دلالةً على ثبوت ورسوخ هذا الوصف فيهم كأنه من طباعهم [5] الأثم أو الأثيم هو " المبالغ في الاستمرار على اكتساب اكتساب الآثام والتمادي فيها [6] ، فالمُرابي " لا يكتفي بالحلال ، وبما شرّع الله له من الكسب المُباح ، وإنما يسعى إلى أكل أموال الناس بالباطل بشتى الطُرُق [7] .

وختمت الآية بأسلوب قاطع ورادع ناسب مضمون الآية في تجسيد الصورة الشنيعة للمتعامل بالربا ، فقد حرمَهُ الله من حبه ورضاه ، فهو لا يحب من كان كافراً عنيداً متمادياً في المعاصي والآثام ، والمجتمع الذي يتعامل بالربا لا خير فيه ولا بركة ولا سعادة ، فلا يفيض على المجتمع هذا الدنس إلاّ الشقاء .

2 ــ (ج/ب/ر) **جَبَّارٍ:**

{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}[8] .

يدلُ جذر الجيم والباء والراء على " العظمةِ والعُلُو والاستِقامةِ، فالجَبَّارُ: الذي طَالَ وفَاتَ الْيَدَ ، والجبار :"المُتَكبرُ الذي لايرى لأحدٍ عليه حقّاً"[9]، والإنسان المُتكبر هو القاهر العاتي المُتسلط الذي لا تدخل قلبه الرحمة [10] .

وقد تعددت أوصاف الكافرين في سِياق هذه الآية عندما استنصر الرسل بالله على أعدائهم ، فبدأت الآية بكلمة { **وَاسْتَفْتَحُوا** } فالألف والسين والتاء للطلب ، وقوله ـــ تعالى ـــ : { **وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ** } [إبراهيم : 15] . نتيجةً للاستفتاح ونصر الله لرسلهِ ، فهذه الجملة معطوفة على محذوف تقديره فنصروا وظفروا وفازوا بمقصدهم [11] على هؤلاء الكفار الجبابرة ، ولم يقل للموصوف كافر هنا ، بل قال : { **جَبَّارٍ** } . للإشارة والتنبيه على كثرة تعاليه وتكبره عن عبادة الله ، فمبالغته أكدتهُ صيغة المبالغة { **جَبَّارٍ** } للوصف الذميم الذي تمكن منه فبلغ ذروته عنده ، وبعد وصفه بهذا الوصف الشنيع أردفه بوصف العنيد ، وجاء هذا الوصف بصيغة الصفة المشبهة على وزن (فعيل) للدلالة على ثبوت الوصف في صاحبه [12] ، والعنيد هو الذي أَخذ بالاستكبار والعصيان وعاند الحق[13] ،وكل جبار عنيد " يريد رؤوسائهم وكبرائهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل"[14].

فلفظة { **عَنِيدٍ** } سيقت في تعبير الآية لتكثير فعل العند والمبالغة في معناهُ [15] ، والعنيد فَعيل بمعنى فاعل أو مُفاعل، كأنَّ المعاندة بلغت ذروتها عنده ، وأصبحت سجية من سجاياهُ ، فالمتحلي بوصف جبار متكبر يُشير إلى الخُلُق النفساني ، أمّا كونه { **عَنِيدٍ** } إشارة إلى الأثر الصادر عن ذلك الخُلُقْ ، ويُمكن القول إنَّ كل متباعد عن الحق جبار وعنيد أي : متكبر [1].

---

(1) يُنظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، دار الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع: 2 / 342 .
(2) الآية: 275 من سورة البقرة.
(3) يُنظر : التحرير والتنوير ، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير كتاب الله المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور عاشور التونسي (ت 1393 هـ) ، الدار التونسية للنشر ـــ تونس ، سنة النشر 1984 م: 3 / 91 .
(4) يُنظر : معاني الأبنية في العربية ، ، د . فاضل صالح السامرائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـــ الأردن ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ ـــ 2000 م: 95 .
(5) يُنظر : المصدر نفسه : 83 .
(6) تفسير ابن كثير ، ابن كثير : 1 / 552 .
(7) ينظر: البحر المحيط في التفسير ، ، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745 هـ) ، تحقيق : صدقي محمد محمد جميل ، دار الفكر ـــ بيروت ، الطبعة 1420 هـ: 2 / 710 .
(8) الآية: 15 من سورة إبراهيم.
(9) القاموس المحيط ، ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت 817 هـ) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، الطبعة الثامنة ، 1426 هـ ـــ 2005 م : 361 (جبر) .
(10) يُنظر : المعجم الوسيط، نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثانية (كُتبت مقدمتها سنة 1392 هـ ـــ 1972 م) ، وصورتها : دار الدعوة باستانبول ، ودار الفكر ببيروت ، وغيرهما كثير: 1 / 105 (جبر) .
(11) يُنظر : دراسات لأسلوب القران ، ، محمد عبد الخالق عضيمة (ت 1404 هـ) ، تصدير : محمود محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة: 3 / 546 .
(12) يُنظر : معاني الأبنية في العربية : 83 .
(13) المعجم الوسيط : 2 / 630 .
(14) الكشاف، للزمخشري: 405/2
(15) يُنظر : من الدراسات اللغوية القرآنية ، فاخر الياسري ، دار الحامد للنشر والتوزيع: 27 .

3 ـــ (ح/ل/ف) **حَلَّافٍ:**

{وَلَاتُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}[2].

الحلف في اللغة : هو المُلازَمَةُ والثبات عليها[3] ، **والحَلْفُ :** القَسَمُ والحلف في الغالب يكون في الايمان الكاذبة في حين القسم في الايمان الصادقة [4] .

نزلت هذه الآية لبيان صفة أخرى من صفات الوليد بن المغيرة، لكونه طاغية من طغاة المشركين ، فقد نعتهُ الله ﷻ بصفات عديدة ، لجبروته وتكبره وجحوده لنعم الله ، ولفظة **{ كُلَّ }** أفادت الشمول والإحاطة لأفراد الاسم الذي تُضاف هي إليه والنهي يُراد هُنا عدم طاعة كل موصوف بخصلة عن هذه الخصال؛ لأنَّ من يحمل هذه الصفات الذميمة ، ليس أهلاً للطاعة والثقةِ ولا يأمر إلاّ بالسوء [5] . وقيل إنَّ الوليد بن المغيرة كان ذا مالٍ وبنين ، فالناس كانوا يطيعون من هذه صفاته التي جاء هُنا للمرة الثانية في سورة القلم ، فقد نُهي عن الكذب في السورة نفسها بقوله ـــ تعالى ـــ : **{فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}**[6].

فبعدما عرضت الآيات الأولى من سورة القلم صفات الرسول ﷺ النبيلة والسامية ، تلتها آيات استعرضت صفات أعدائهِ من المشركين ، وكانت أُولى تلك الصفات صفة الكذب بقوله ـــ تعالى ـــ : **{ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ }** وتصدرت السياق ، كونها الصفة الأساسية التي تتفرع منها الصفات الأخرى ، فوردت لفظة **{ الْمُكَذِّبِينَ }** بصيغة اسم الفاعل دلالة على رسوخ الكذب وثباته فيهم [7] ، وأردف هذا الوصف بوصفين آخرين هُما: **{ حَلَّافٍ }** و **{ مَهِينٍ }** ، فحلّاف صفة لموصوف محذوف تقديره (رجل) أي : لا تطع كل رجل حلاّف ، ، وهناك علاقة وثيقة بين الكاذب والحالف " فالكاذب لضعفه ومهانته يتقي بأيمانه الكاذبة التي يجترئ بها على أسماء الله ـــ تعالى ـــ واستعمالها في كل وقتٍ في غيرِ محلها " [8] . وكذلك أردف وصف حلاّف بوصفٍ قريب من دلالته هو و **{ مَهِينٍ }** وهو صفة مشبهة بالفعل على وزن (فعيل) [9] ، و **{ مَهِينٍ }** مأخوذة " إمّا من المهانة وهو الجيّد، وهي الحقارة وفعله مهن يمهنُ بالضم فيهما مهانة فهو **{ مَهِينٍ }**،وإمّا من المهنة"[10]، فنجد الضعف هو الرابط الخفي بين الكاذب والحالف والمهين ، وهذه الأوصاف راسخة وثابتة لِمَنْ وُصِفَ بها ، ومجيء هذه الأوصاف على نمط عجيب في سردها جسّد لنا فن المناسبة وتناسق السياق صوتياً ، وتوالي الصفات بصيغة المبالغة دلالةً على كثرة وقوعها في نفس صاحبها فـ **{ هَمَّازٍ }** جاء بصيغة المبالغة أيضاً لكثرة أكله لحوم البشر بالحديث عنهم[11] .

وأردف **{ هَمَّازٍ }** بوصف **{ مَشَّاءٍ }** و (المشاء) : هو النمّام الذي يمشي بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم [12] .

وختم السياق هذه الأوصاف السيئة للوليد بن المغيرة بأقبح ما يعيبه في قوله تعالى : **{مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}** [القلم:12] فهاتان الصفتان كانتا من أشد عيوبه، وقد دلّ البعد على ذلك[13] .

ونجد ترتيب هذه الصفات جاء من الخاص للعام .

4 (ر/ج/ف) **وَالْمُرْجِفُونَ:**

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَض وَالْمُرْجِفُونَ **فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا}**[14].

رجف : أصلٌ يدل على " اضطراب وقلق وعدم الاستقرار[15] .

---

(1) ينظر: نُظُم الدرر في تناسب الآيات والسُور، ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت 885 هـ) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة : 15 / 399 .
(2) الآية: 10 من سورة القلم.
(3) ينظر: معجم مقاييس اللغة : 2 / 98 (حلف) .
(4) يُنظر : المحكم والمحيط الأعظم : 3 / 345 (حلف) .
(5) يُنظر : التحرير والتنوير : 29 / 70 .
(6) الآية: 8 من سورة القلم.
(7) معاني الأبنية في العربية: 41 .
(8) تفسير ابن كثير : 8 / 209 .
(9) يُنظر : معاني الأبنية في العربية : 83 .
(10) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ، الهمذاني : 6 / 193 .
(11) تاج العروس من جواهر القاموس، ، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، تحقيق : جماعة من المختصين ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ، أعوام النشر(1385 ـــ 1422هـ) = (1965 ـــ 2001م) ، وصُورت أجزاء منه ، دار الهداية ودار إحياء التراث وغيرهما : 15 / 388 .
(12) يُنظر : معجم اللغة العربية المُعاصرة، ، د . أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424 هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، 1429 هـ ـــ 2008 م : 3 / 2102 .
(13) إعراب القرآن وبيانه ، ، محي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت 1403 هـ) ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية ـــ حمص ـــ سورية ، دار اليمامة ، دمشق ـــ بيروت ، دار ابن الأثير ـــ دمشق ، بيروت ، الطبعة الرابعة: 10 / 172 .
(14) الآية: 60 من سورة الأعراف.
(15) ينظر: معجم مقاييس اللغة : 2 / 491 (رجف) .

اندرج وصف { **وَالْمُرْجِفُونَ** } مع وصفين آخرين ، هما النفاق، ومرض القلب في سياق تهديد المشركين واليهود المخصوصين بالأحزاب، فبدأ سياق الآية بوصف { **الْمُنَافِقُونَ** }؛ لأنَّ النفاق هو البؤرة الأساسية للمرض القلبي الذي يُصيب المنافقين، وكلما تدهورت حالة المنافقين ، تأتيهم نوبات من الرجفة والاهتزاز عندما يُمارسون النفاق، فوصفهم السياق بلفظة { **وَالْمُرْجِفُونَ** } . والإرجاف: " الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب"[1]، أي : إنَّ حركة المرجف في نقل الخبر الكاذب هي حركة شديدة شديدة لكونها في نفسها متزلزلة غير ثابتة أو لتزلزل قلوب المؤمنين واضطرابها منها، وربما تكون عشوائية تبعث في النفس الخوف والفزع ، إذن هذه أمور حسية ، ارتبطت بأمر معنوي، وبقية أعضاء جسده التي تحدث اضطراباً بين الناس [2] ، وجاء وصف { **وَالْمُرْجِفُونَ** } بصيغة اسم الفاعل لثبوت واستمرار النفاق عندهم ، فالرجفة هُنا تكون جسدية وعقلية ، فهؤلاء المنافقون لا يستقرون على عقيدة معينة أو قيمة أخلاقية، فوصفهم بهذا الوصف العام دون تخصيص [3] ان هذهِ الأوصاف الثلاثة لشيء واحد والمعنى: ان المنافقين قد قد جمعوا بين النفاق، ومرض القلوب، والإرجاف على المسلمين فيكون العطف مع الاتحاد بالذات لتغاير الصفات على حد.

وقد ناسبت هذه الآية نزول الآية السابقة عندما تعرض المنافقون بالأذية للنساء المؤمنات ليلاً عند خروجهنَّ لقضاء حوائجنَّ [4] ، والوعيد هنا لمن اتصف بهذه الصفات هو ، تسليط رسول الله ﷺ عليهم باستئصالهم وإجلاءهم من المدينة ، وحرف العطف { **ثُمَّ** } دلَّ على الترتيب مع التراخي فكانت عقوبتهم من جنس عملهم في النفاق الذي دلالته الاهتزاز وعدم الاستقرار ، فكذلك جلاؤهم من المدينة يمثل اهتزازاً لهم وعدم استقرارهم " .

5 ــ (س/و/د) **مُسْوَدًّا:**

{وَإِذَابُشِّرَأَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّاوَهُوكَظِيمٌ}[5].

سَوْدَ : نقيض البياض وهو أَصل واحدٌ[6] .

فالعرب في الجاهلية كانت تئد الأنثى عند ولادتها خشيةَ العار الذي تلحقه بهم ، أو هجر الزوجة كما فعل أبو حمزة .

والفعلُ { **بُشِّرَ** } يبث الحياة والظهور ، وله دلالة نفسية انفعالية ، والبشارة في اللغة تختص بالخبر الذي يفيد المسرة، وكذلك يفيد الإخبار الذي يُؤثر في تغيير بشرة الوجه ، فكما الفرح والسرور يغير البشرة ، فكذلك الحزن [7] ، وتدل كذلك اللفظة على النعمة التي وهبها وهبها الله للوالدين لِما فيها من خير وأُنس ، والتعبير بها يفيد الكناية، لأنهم يُعدون البشارة مصيبة لهم ، فولادة الأُنثى فيه كناية عن مخالفتهم ، ومعاملتهم بنقيض قصدهم ، فردّة فعلهم تقود إلى القتامة والتخفي حتى تصل إلى مواراة الأُنثى في التراب ، وفي قوله ــ تعالى ــ : **{يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَابُشِّرَ بِهِ }**[8]، والفعل { **يَتَوَارَى** } يُوحي بالاختفاء وعدم البقاء[9]، فبداية الآية الآية بلفظة { **بُشِّرَ** } يتناسب مع القوة والظهور للحياة والتجانس معها ، في حين تناسبت لفظة الإمساك بما فيها معنى الإخفاء مع الضعف والتنافر، فالسخط من أخلاق الجاهلية عند ولادة الإناث ، فذمهم الله .

واختيار لفظ { **ظَلَّ** } في السياق يدل على العمل وقت النهار[10] ، وكنى الله ﷻ عن وجه الكافر والجاهل بـ { **مُسْوَدًّا** } وهي كناية عن التقطيب بولادة الأُنثى[11]، والعرب تقول لكل من لقي مكروهاً قد اسود وجهه، وأُردفت هذه الصفة بصفة أخرى هي{ **كَظِيمٌ** } في قوله ــ تعالى ــ : { **وَهُوَ كَظِيمٌ** } والكظيم هو الذي يسد فهمه غضبًا وحزنًا وأَلَمًا[12]، فالكظيم صفة مشبهة لوصف قلوبهم بما تحمله من الحزن ومبالغتهم في ذلك الحزن ، حتى وصلت الحالة النفسية للكافر إلى طرح السؤال على نفسه في قوله ــ تعالى ــ :**{يُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ}**[13]، أي : يدفنهاأم يصبر عليها وعلى مكروهها وهي المؤودة[14] .

---

(1) يُنظر : المعجم الوسيط : 1 / 332 (رجف) .
(2) يُنظر : الإرجاف ــ دراسة قرآنية ــ ، رسالة ماجستير ، إعداد : حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم ، إشراف : د . محسن سميح الخالدي : 14 .
(3) يُنظر : معاني النحو: 3 / 174 .
(4) أسباب النزول ، ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت 468 هـ) ، تحقيق : عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح ــ الدمام ، الطبعة الثانية ، 1412 هـ ــ 1992 م: 363 .
(5) الآية: 58 من سورة النحل.
(6) ينظر: معجم مقاييس اللغة : 3 / 114 (سود) .
(7) يُنظر : مفاتيح الغيب : 2 / 225 .
(8) الآية: 59 من سورة النحل.
(9) ينظر: ظواهر أسلوبية وفنية في سورة النحل ، إعداد : أسامة عبد المالك إبراهيم عثمان ، إشراف : د . خليل عودة : 22 .
(10) يُنظر : نَظْم الدرر في تناسب الآيات والسُور : 11 / 184 .
(11) ينظر: البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي : 5 / 488 .
(12) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : 10 / 116 .
(13) الآية: 9 من سورة النحل.
(14) يُنظر : معاني القرآن ، الفرّاء : 2 / 107 .

وجملة { **يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ** } صوّرت لنا هذه الجملة الحاليَّة الحدث حاضراً أمامنا فدلّت الآيتان على تجسيد الحالة النفسية للكفار المُبشرين بالأنثى وتنامي وتصاعد الغضب في قلوبهم حنقاً ، فلم تستطع قلوبهم الاتساع له ، فصعد إلى وجوههم التي اصفرت صفرة شديدة بحيث أصبحت تُرى أنها سوداء ، من بشدة حزنهم وكرههم وامتلاء قلوبهم بالغم والهم عند ولادة الأُنثى ، فيحاول الكافر إخفاء هذه المولودة تماماً بدسها في التراب ، إلاّ أنه لا يرى في ذلك إنهاءً للمشكلة، وإنّما يطفئ الغضب عنده فيختاره ولا يختار قتلها .

6 ــــ (ف/خ/ر) **فَخُورٍ:**

{وَلَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَايُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [1].

تدل هذه اللفظة على عِظَمٍ وقِدَمٍ ، من ذلك الْفَخْرُ [2] ، و"التَّفاخُر : التَّعاظُم ، و " التَّفخُّرُ : التَّكَبُّرُ [3] .

أوضح لقمـــــان ﷺ هنا لابنـــه الآداب السلوكية في معاملـــــة النـــاسِ ، فـــورد الوصفان { **مُخْتَالٍ فَخُورٍ** } في سياق النهي عن التكبر والتعالي والتفاخر بين الناس في القول والفعل، فهما من الأوصاف الرديئة التي نهى الله عنها، في قوله ـــــ تعالى ـــــ :{ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ** } والصعر داء يصيب الإبل[4]،أي لاتمشِ مُعجباً بنفسك فاخراً للنعم ناسياً المنعم ، فالتصعير إمالة الخـد كِبَراً وإعراضاً، وقال الله ﷻ :{ **وَلَاتَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**} ولم يقل : { على الأرض } ، لأنَّ { **فِي** } هنا تفيد الظرفية، و { على } للاستعلاء [5] ، كأنَّ هذا المختال المُتكبر الصلف المتباهي بنفسه ، يريد أن يخرق الأرض وهو يمشي فيها ، فاستخدام { **فِي** } هنا ناسب مشية المختال في الأرض ، على النقيض من عباد الله المؤمنين الذين يتّصف مشيهم بالاستقرار والسكينة.

ففي الهدى استعلاء على الشر، فالاستعلاء وصفٌ لهم ، وجاء وصف المختال بصيغة اسم الفاعل ويصح أن يكون أسم مفعول أيضاً مختال فعله الثلاثي (خال) اختال زيادةً في الاختيال والتكبر فيها مبالغةً [6] ، وجاء وصف (فخور) على زنـــة فعـــول ، وهي من صيغ المبالغة[7] .

والفرق بين **المختال والفخور**: " الأولى إشارة إلى التخيلات الذهنية للكِبَر والعظمة ، أما الثانية تشير إلى إعمال التكبر الخارجي " [8] .

.

فنجد هُنا إشارة لقمان إلى وصفين مذمومين جداً ، وهما الأساس في توهين وقطع الروابـــط بين العلاقات الاجتماعية الصميمية، واشترك الوصفان أيضاً في حذف الموصوف الذي تقديره (عبدُ مختال) و (عبدٌ فخور) مما يدل على أنَّ الوصف خاص وليس عاماً ، وكذلك له دلالة على تمكن الوصف ممن يتحلى به فجعل الصفة تحل محل الاسم، وختمت الآية بالتأكيد بـــ (إن) لأنه ذكر فيها أسوأ الصفات في التعامل مع الناس[9] .

7 ــــ (ق/ل/ب) (ن/ك/ر) **قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ:**

{إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ} [10].

نكـــر : أصل لغوي يدل على نقيض المعرفة والإدراك[11] .

وردت صفتا (الإنكار والتكبر) في سباق مخاطبة الكفار الذين أنكروا وحدانية الله وأنكروا يوم القيامة وخصَّ إنكارهم ليوم القيامة هنا دون أركان الإيمان الأخرى؛ لأنهم لا يؤمنون باليوم الآخر[12] .

وتناسبت هذه الآية مع الآيات التي قبلها وبعدها في استعراض الأدلة المتنوعة على تفرد الله ـــــ تعالى ـــــ بالأُلهية ، وذكر النعم التي أنعمها الله ـــــ تعالى ـــــ على عباده ، وبيان أنه المُنعم الوحيد والقادرُ ، وبينت عجز المعبودين دونه ، فعبر عن هؤلاءِ المشركين باسم الموصول وصلته بقوله ـــــ تعالى ـــــ : { **فَالَّذِينَ لَايُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ** }، ووصف قلوبهم بصيغة اسم الفاعل { **مُنْكِرَةٌ** } لرسوخ الإنكار في قلوبهم وأفعالهم[13]، ودلّ اسم الفاعل أيضاً على رسوخ وثبات صفات الكفار ، واختيار لفظة { **مُنْكِرَةٌ** } إنّما ساقهُ السياق بدقـة ، لِما تحمله هذه اللفظة من معنى يدل على القوة والقسوة والصلابة التي تميز بها الكفار ، وأوصلت بهم إلى إنكار الآخرة ، وإنكارهم للآخرة نابع من تكبرهم ، والمُتكبر هو العظيم ذو الكِبرياء والعظمة المُتعالي [14] ، أي : إنَّ المشركين لايقتصر إنكارهم ليوم القيامة فحسب

---

(1) الآية: 18 من سورة لقمان.
(2) يُنظر : معجم مقاييس اللغة : 4 / 480 (فخر) .
(3) تاج العروس من جواهر القاموس : 13 / 305 (فخر) .
(4) يُنظر : لسان العرب : 4 / 456 .
(5) يُنظر : النحو الوافي ، عباس حسن : 2 / 538 .
(6) يُنظر : معجم مقاييس اللغة : 2 / 235 (خيل) .
(7) يُنظر : النحو الوافي ، حسن عباس : 4 / 592 .
(8) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي : 3 / 195 .
(9) يُنظر : النحو المصفى ، محمد عيد : 285 .
(10) الآية: 22 من سورة النحل.
(11) ينظر: معجم مقاييس اللغة : 5 / 476 (نكر) .
(12) ينظر: التفسير البياني لِما في سورة النحل من دقائق المعاني ، سامي قدومي : 121 .
(13) يُنظر : روح المعاني ، الآلوسي : 7 / 363 .
(14) يُنظر : لسان العرب : 5 / 129 .

بل يستكبرون ويتعاظمون ، فوصف { **مُسْتَكْبِرُونَ** } سيق هُنا لِما له من علاقة وثيقة بالإنكار، فالإنكار لدى المشركين نابع من استكبارهم، والتعبير بالجملة الأسمية في قوله ـــ تعالى ـــ : { **وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ** } دلالة على عظيم استكبارهم وثبوته فيهـــم ، وقيل : كذلك { **مُسْتَكْبِرُونَ** } وليس (**يستكبرون**) ، لأنَّ الفعل دلَّ على التكبُّر[1] ، ويدل اسم الفاعل في { **مُسْتَكْبِرُونَ** } على ملازمة صفة الاستكبار وأنها باختيارهم، إذن فالكفار جمعوا صفتين تجسدتا في " إصرارهم على الإنكار واستمرارهم على الاستكبار " [2] فناسبت في هذه الآية حال وحقيقة الكفار الداخلية بكفر قلوبهم مُنكرة ، حالهم الخارجي البادي للعيان وهم { **مُسْتَكْبِرُونَ** } ، فالاستكبار لابُدَّ أن يظهر أمام الناظرين [3] [3] . وذكر الله ـــ تعالى ـــ الكفار باليوم الآخـــر ، لأنه يـــوم الحساب الذي سيجازيهم فيـــه على جهلهم وعنادهم وتكبرهم وإنكارهم لوجوده ولنعمه عليهم التي استعرضها في آيات عديدةٍ من هذه السورة .

8 ـــ (ك/ذ/ب) **كَاذِبٌ:**

{أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِـــصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَاهُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَايَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} [4].

الكذب في اللغة : أصل واحد صحيح " يدل على خلاف الصدق " [5] . ويُقال للرجل : كاذبٌ ، وكذوبٌ وكُذُبَةٌ ، والكذّاب اسم لبعض رُجَّاز العرب[6] .

وورد وصفـــا { **كَاذِبٌ كَفَّارٌ** } في الســـياق القـــرآني الذي بيَّـــن فيـــه الله ﷻ ما يعتقده المشركون بأنَّ الأصنام التي يعبدونها هي التي تقربهم له ، وفي هذا كذب وافتراء ، وأنهـم في غفلـــةٍ من أمرهـــم ، والدليل على غفلتهـــم أُستهلت الآيـــة بحرف الاستفتاح والتنبيه { **أَلَا** } [7] . وقولـــه ـــ تعالى ـــ : { **لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** } فتقديـــم شبه الجملة { **لِلَّهِ** } أفـــاد الاختصاص ، أي : أنـــه مستحقهُ وأنـــه مختص بـــه [8] . وقولـــه ـــ تعالى ـــ : { **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ** } معطوفة على جملة { **أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ** } وناسبتها في تحقيق معنى التوحيد والإخلاص لله في العبادة وعدم الإشراك به ، لكنهم يبررون إشراكهم بالله وعبادتهم للأصنام تقرباً له ، وحذف الفعل في قوله ـــ تعالى ـــ : { **مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** } والتقدير (يقولون) ، أي : (يقولون : ما نعبدهم إلا ...) وهذا الحذف إشارة إلى " اختصار الكـــلام والعرب تختص بعلم المخاطب بما أُريـــد بـــه " [9] ، وربما يفيد الحذف هنا تركيزهم وإصرارهم على شركهم لله فحذف القول وأبقى فعلهم وإصرارهم ؛ وأكّد وصفهم بصيغة اسم الفاعل { **كَاذِبٌ** } ؛ لثبوت وانحصار هـــذا الوصف فيهم دون غيرهم ، وكذبهم كان في قضية التوحيد ـــ حصراً ـــ ، ولم يكونوا كذابين في أمور أخرى ، لأنَّ العرب تأنف الكذب وتذم صاحبه ، وأردف القرآن وصف كاذب بوصف { **كَفَّارٌ** } بصيغة المبالغة تأكيداً ، لأنهم بالغوا كثيراً ، بكذبهم وإشراكهم بالله ـــ تعالى ـــ إلى حد جعلوا وسطاء بينهم وبينه ، وكذلك لتكرار كذبهم ، أصبح كأنـــهُ حرفةٌ لهـــم يُزاولها [10] ، والذي يلفـــت النظر مجيء الفواصل ختاماً للآيـــة { **كَفَّارٌ، الْقَهَّارُ، الْغَفَّارُ**} متناسبة ومتناسقة مع موضوع آياتها . وقولـــه ـــ تعالى ـــ : {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي**} المراد بـــه هنا أنَّ المُتصف بالكذب والكفر لا يوفق للهداية .

خاتمة البحث ونتائجه

والبحث في نتائجه بيان ما يأتي :

1 ـــ قد تنفرد الأوصاف السيئة للرجال في القرآن الكريم ، وقد تتعدد في العقيدة والإيمان ومقاصد الدين والدنيا .

2 ـــ وردت الأوصاف بِصيَغ متعددة ما بين صفات ومصادر وأسماء فاعلين لدلالاتها على الثبوت ودوام الحال .

3 ـــ أكثر الأوصاف السيئة التي أوردها القرآن الكريم لدفع المضار وجلب النفع في مُقومات الرجولة الحقّة .

4 ـــ إثبات طهارة المؤمنين من تلك الأوصاف السيئة وثباتها لمنكري البعث والمعاندين والكاذبين والكفار ، وقد وردت فيهم آيات مخصوصة بسبب النزول .

---

(1) يُنظر : معاني النحو : 3 / 267 .
(2) روح المعاني ، الآلوسي : 7 / 363 .
(3) التفسير البياني لِما في سورة النحل من دقائق المعاني : 45 .
(4) الآية: 3 من سورة الزمر.
(5) معجم مقاييس اللغة : 5 / 167 (كذب) .
(6) يُنظر : المعجم الوسيط : 2 / 780 (كذب) .
(7) الجنى الداني في حروف المعاني ، المُرادي : 381 .
(8) التحرير والتنوير : 23 / 318 .
(9) مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر المثنى : 1 / 100 .
(10) يُنظر : معاني الأبنية العربية : 96 .

List sources and references:

-Ibrahim bin Omar Al-Baqa'i (d. 885 AH), Nuzum Al-Durar fi Tansabah Verses and Surahs, Dar Al-Kitab Al-Islami, Cairo.

-Abu Al-Hasan bin Sayyidah (d. 458 AH), Al-Muhkam and the Greatest Conversant, edited by: Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya - Beirut.

-Abu Hayyan Muhammad bin Yusuf Al-Andalusi (d. 745 AH), Al-Bahr Al-Muhit fi Al-Tafsir, edited by: Sidqi Muhammad Jamil, Dar Al-Fikr - Beirut, Edition 1420 AH.

-Ahmed Al-Qazwini, Abu Al-Hussein, Dictionary of Language Standards, edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr, year of publication 1399 AH - 1979 AD.

-Ahmed Mukhtar Abdel Hamid Omar (d. 1424 AH), Dictionary of the Contemporary Arabic Language, with the help of a work team, World of Books, first edition, 1429 AH - 2008 AD.

-Fadel Saleh Al-Samarrai, Meanings of Buildings in Arabic, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution - Jordan, first edition, 1420 AH - 2000 AD.

-Majd al-Din al-Fayrouzabadi (d. 817 AH), The Ocean Dictionary, edited by: The Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, under the supervision of: Muhammad Naeem Al-Arqsusi, Al-Resala Foundation for Printing and Publishing, eighth edition, 1426 AH - 2005 AD.

-Muhammad Al-Tahir Al-Tunisi (d. 1393 AH), Al-Tahrir and Al-Tanwir, Tunisian Publishing House - Tunisia, year of publication 1984 AD.

-Muhammad bin Makram bin Ali Al-Afriqi (d. 711 AH), Lisan Al-Arab, Dar Sader, Beirut, third edition, 1414 AH.

-Muhammad Abd al-Khaleq Adima (d. 1404 AH), Studies of the Style of the Qur'an, published by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar al-Hadith, Cairo.

-Muhammad Mortada Al-Husseini Al-Zubaidi, Taj Al-Arous from Jawaher Al-Qamoos, edited by: a group of specialists, Ministry of Guidance and News, Kuwait, National Council for Culture, Arts and Letters in the State of Kuwait, years of publication (1385 - 1422 AH) = (1965 - 2001 AD), and parts of it were photographed, Dar Al-Hidaya, Dar Revival of Heritage, and others.

-Muhyiddin bin Ahmed Mustafa Darwish (d. 1403 AH), Parsing and Explanation of the Qur'an, Dar Al-Irshad for University Affairs - Homs - Syria, Dar Al-Yamamah, Damascus - Beirut, Dar Ibn Al-Atheer - Damascus, Beirut, fourth edition.

-The Intermediate Dictionary, an elite group of linguists at the Arabic Language Academy in Cairo, the Arabic Language Academy in Cairo, second edition (its introduction was written in the year 1392 AH - 1972 AD), and its copies are: Dar al-Da'wa in Istanbul, and Dar al-Fikr in Beirut.

-Nasser Makarem Al-Shirazi, Al-Athmal fi Interpretation of the Revealed Book of God, Dar Al-Amira for Printing, Publishing and Distribution.